الأستاذة ميادة مهنا سليمان(الجمهورية العربية السورية)

عيدُ الميلادِ.. طقوسُهُ، رموزُهُ، وأغرب إحتفالاتِه

يحتفل العالم بعيد الميلاد المجيد، الذي يعد ثاني أهم الأعياد المسيحية بعد عيد القيامة، وتحتفل به الطوائف المسيحية بدءاًمن ليلة 24 كانون الأول (ديسمبر) وحتى 7 كانون الثاني (يناير)، حيث تزدان البيوت والمحلات بمظاهر العيد ورموزه

التي تعبّر عن الفرح والرغبة في أن يعمّ السلام، والحب سائر أرجاء المعمورة، فتُزيَّنُ البيوت بأكاليل من الأغصان دائمة الخضرة والتي تعلّق على النوافذ والأبواب.

أما في الساحات العامة، فتنتشر لافتات خاصة وسلاسل ضوئية، كما توضع شجرة الميلاد في أماكن بارزة، إلاّ أنه يقال بأن أول محل تجاري متخصص بزينة الميلاد افتتح في ألمانيا في عام 1860، ثم تزايدت المحلات، وتعددت، وتفننت في زينة الميلاد.

قصة ميلاد السّيد المسيح:

ورد في إنجيل لوقا: "إني أُبَشِّرُكُم بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَعُمُ الشَّعبَ كُلَّهُ: فَقَد وُلِدَ لَكُمُ اليَومَ فِي مَدينَة دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ المَسِيحُ الرَّبُّ".

تضمن إنجيلا متى ولوقا تفاصيل الميلاد، حيث جاء في إنجيل لوقا الذي تطرّق للميلاد، بالتفصيل، أن الملاك جبريل ظهر لمريم العذراء في مدينة النّاصرة مرسَلاً من قبل الله، وأخبرها أنها ستحمل بقوة الروح القدس بطفل "يكون عظيماً" ولن "يكون لمُلكه نهاية"، وعندما اضطرب يوسف النجّار – خطيب مريم – من روايتها ظهر له الملاك أيضاً في

الحلم تصديقاً لرواية مريم وتشجيعاً له، ويتّفق إنجيلا متى ولوقا أن ميلاد المسيح كان في مدينة بيت لحم بفلسطين.

قدّاس عيد الميلاد.. صلوات خاصّة تمتد لساعات:

يبدأ الإحتفال بعيد الميلاد في ليلة الرابع والعشرين من شهر كانون الأول (ديسمبر)، فيرتدي الناس ثيابهم الجديدة ليحضروا قُدّاساً بمناسبة عيد الميلاد، القدّاس عبارة عن صلوات خاصة بالميلاد قد تمتد لعدة ساعات، حيث يستذكر المسيحيون السّيد المسيح الذي يؤمنون بأنه تخلى عن حياته كي يحيوا هم، وبعد القداس يشعل الأطفال والناس جميعاً المفرقعات إحتفالاً بعيد الميلاد، ثم يذهبون للنوم، وفي صباح اليوم التالي، تجري التحضيرات لعشاء الميلاد، ويتم تقبل التهاني بالعيد، وتبادل الهدايا مع الأهل والأصدقاء.

ترانيم الميلاد في الدول الغربية:

يتميز الميلاد بموسيقاه التي تقسم إلى قسمين:

1- الموسيقى الدينية أو الكنسية: وضعها رجال الدين، حيث يعدّ أفرام السرياني من أوائل من وضع قصائد ملحنة للميلاد في القرن الرابع الميلادي حتى لقّب "شاعر الميلاد". ولا تزال الترانيم التي ألّفها في هذا الصدد متداولة حتى اليوم في الكنائس السّريانية، أما في أوروبا فيعدّ القديس أمبروسيوس (أسقف ميلانو) أول من وضع ترانيم خاصة بعيد الميلاد باللغة اللاتينية، مثل قصيدة Veni redemptor (نور الأمم). كما كتب الشاعر الإسباني برودنتيوس المتوفّى عام 413 للميلاد قصيدة باللغة اللاتينية أيضاً ما تزال مستعملة حتى الآن بعنوان Corde natus ex Parentis (من محبّة الأب أُنجب).

2- الموسيقى الشعبية غير الكنسيّة: ظهرت في القرن الثاني عشر، وضع الرّاهب آدم من رهبنة القديس فيكتور في باريس أول أغانٍ شعبية غير كنسية عن الميلاد، أما أقدم ترانيم وأغاني الميلاد التي ظهرت بالإنكليزية فتعود لعام 1426 على يد جون أودلاي،

وهو قسّيس في شروبشاير كتب "ترانيم ميلادية" (بالإنكليزية القديمة: Caroles Cristemas)، وهو عبارة عن كتاب يضم أغنية شعبية كانت تغنّى من قبل زائري المنازل خلال تبادل الهدايا عشيّة الميلاد.

ترانيم عيد الميلاد في الدول العربية:

وضعت ترانيم الميلاد باللغة العربية في القرن الثامن عشر، ومن أشهر من وضع هذه الترانيم المطران عبدالله القرالي المتوفّى في عام 1724، كما عُرّبت أناشيد أخرى مشتقة من أناشيد سريانية، مثل: "أرسل الله" و"سبحان الكلمة" وهما لا تزالان معروفتين بين المسيحيين العرب حتى اليوم. وفي عام 1992 قامت الفنانة اللبنانية فيروز بإصدار ألبوم يحوي أربع عشرة أغنية وترنيمة ميلادية، أغلبها كلمات عربية لألحان عالمية، وهناك أيضاً ترانيم ميلادية خاصة بالعرب أمثال "ليلة الميلاد" التي وضعها الأب اللبناني منصور لبكي و"بضيعة زغيرة منسيّة" و"ضوّي بليالي سعيدة".

جدل حول عيد الميلاد:

يعدّ عيد الميلاد موضع جدل، حيث يرى المتشدّدون – كالمركز الأمريكي للقانون والعدالة – أن موعد ميلاد السيد المسيح غير محدد بدقة في كتاب الإنجيل المقدّس، وأن الإحتفال بالعيد في نفس يوم الإحتفال بالشمس عند الرومان غير مقبول بإعتبار الإحتفال بالشمس عادة وثنيّة، نتيجة ذلك حُظر الإحتفال بعيد الميلاد في بريطانيا في الفترة بين عامَّي 1649 – 1660، كما حظر الإحتفال بعيد الميلاد في الإتحاد السوفياتي سابقاً كذلك في بعض الدول الإسلامية.

البلدان التي لا تعتبر عيد الميلاد عطلة رسمية تعتبر معظم دول العالم يوم الخامس والعشرين من شهر كانون الأول (ديسمبر) من كل عام عطلة رسمية بمناسبة عيد المسيح، بإستثناء الدول التالية: ليبيا، الجزائر، الكويت، السعودية، البحرين، المغرب، عمان، قطر،

تونس، اليمن، الإمارات، موريتانيا، الصومال، أفغانستان، أذربيجان، كمبوديا، الصين (باستثناء هونغ كونغ وماكاو)، جزر القمر، إيران، (الكيان الإسرائيلي)، اليابان، جزر المالديف، منغوليا، كوريا الشمالية، باكستان، طاجيكستان، تايلاند، تركيا، تركمانستان، أوزبكستان، فيتنام.

رموز عيد الميلاد:

1-المغارة: تعد المغارة أقدم من شجرة الميلاد تاريخياً، وترجع إلى القديس فرنسيس الأسيزي، الذي قام عام 1223 بتشييد مغارة حيّة، وإنتقل هذا التقليد من إيطاليا إلى أوروبا ومختلف أنحاء العالم.

2-شجرة الميلاد: للشجرة قيمة كبيرة في الكتاب المقدّس (شجرة المعرفة) في قصة الخلق والتي أصبحت (شجرة الحياة) مع المسيح. وأول ذكر لها في المسيحية يعود لعهد البابا القديس بونيفاس (634 – 709) الذي أرسل بعثة تبشيرية لألمانيا.

3-النجمة: توضع النجمة في البيوت على رأس شجرة عيد الميلاد، أو زينة على سطح البيوت كإشارة ورمز سماوي للوعد. ونجمة بيت لحم كانت علامة الوعد؛ لأنها قادت المجوس إلى مكان ولادة المسيح فقدّموا هناك الهدايا الثّمينة.

4-الطّوق أو الإكليل: يرمز إلى الطبيعة الخالدة للحب الذي لا ينتهي ولا يتوقف، وتُذكر، بحسب الأدبيات المسيحية، بحب الله اللامحدود، وبالسبب الحقيقي والصادق لميلاد المسيح.

5-الرّبطة: تربط الهدايا بربطة دليل على رابطة الأخوّة التي تجمع المؤمنين.

6-العكازة: تمثل عصا الرّاعي، والجزء المعقوف أو الملتوي من العصا كان يستخدم لجلب الخروف الضّال.

7-الجرس: صوت الجرس يعني الفرح والبهجة، فهو يبشّر بالعيد ويحمل في طيّاته حنيناً يبعث الإرتياح في النّفس. أما دوره فمهمّ في الحياة المسيحية، إذ إستعمل الجرس للعثور على الخروف الضّال، كما يرمز إلى الهدايا.

8-الشموع: تمثل نور الرب، وهي تقدير الإنسان للنجمة. أما الآن فتستخدم الأشرطة الضوئية لذكرى ميلاد المسيح.

9-ألوان زينة الميلاد: يطغى على زينة الميلاد ثلاثة ألوان، وهي:

- اللون الأخضر: يرمز "للحياة الأبدية"، ولا سيما مع إستخدامه للأشجار دائمة الخضرة التي لا تفقد أوراقها.
- اللون الأحمر: يرمز لدم السيد المسيح الذي أُريق في صلبه (وفقاً لمعتقدات الديانة المسيحية).
- اللون الذهبي: لون مرتبط بعيد الميلاد، يرمز إلى هدايا المجوس التي قدموها لمريم العذراء بعد ولادة السيد المسيح.

10-بابا نويل: يعتبر الكثيرون بابا نويل شخصية وهمية. لكن للشخصية أساس واقعي مستمد من شخصية القديس نيقولاس أسقف ميرا المتوفّى سنة 341 م، والذي لقّب بصانع العجائب لكثرة الخير الذي جرى على يديه، ومن وحي سيرته وإهتمامه بالأحداث، إتّخذ كشخص وهمي يوزع الهدايا في عيد الميلاد، وإسم "سانتا كلوز" جاء من إسمه بالإنكليزية سانت نيكولاس، وأول رسم لبابا نويل كان سنة 1862 م وهو عبارة عن شخص صغير يبدو قزماً يلبس ملابس حمراء وقبّعة صغيرة، وله ذقن طويلة بيضاء. وهناك من يقول: تعود فكرة بابا نويل إلى قصيدة كتبها الشاعر الأمريكي كلارك موريس بعنوان "ليلة ما قبل عيد الميلاد"، حيث يقوم الأطفال بكتابة رسائل إلى مريم العذراء ويَضعونها في جراب الميلاد أو بقرب الشجرة قبل العيد، ويستيقظون صباح العيد فيجدون هداياهم المختارة.

<u>اللحوم طبق رئيسي في عشاء الميلاد</u>:

يعد عشاء الميلاد جزءاً من طقوس عيد الميلاد، حيث لا يوجد نوع محدّد من الطعام موحد يقدم لمناسبة العيد في مختلف أنحاء العالم، لكن يغلب على العشاء مثل:

- الأسماك: وهي طبق رئيسي في عشاء الميلاد في بعض الدول مثل: بولندا، إيطاليا، دول أوروبا الشرقية.
- الكبّة، ورق العنب، الدجاج المحشي، المقبلات كالتبولة، الفتوش، في الدول العربية (سوريا، لبنان، فلسطين، الأردن).

بطاقات المعايدة:

تعتبر بطاقات المعايدة جزءاً من الإحتفالات التقليدية للعيد، تتضمن البطاقات صوراً مثل: صور مريم العذراء، السيد المسيح، رجال الثلج إلى جانب الشجرة، نجمة بيت لحم، الحمامة البيضاء رمز للسلام على الأرض، وللروح القدس.

طوابع عيد الميلاد:

بمناسبة عيد الميلاد تصدر الحكومات في دول العالم طوابع خاصة بالمناسبة، تبقى هذه الطوابع صالحة مدة عام كامل، ومن ثم تتغيّر. تصدر هذه الطوابع بين شهر تشرين الأول (أكتوبر) وبداية شهر كانون الأول (ديسمبر) من كل عام وبكميات كبيرة. أقدم الطوابع الخاصة بعيد الميلاد أصدرتها الحكومة الكندية في عام 1898.

أغرب إحتفالات عيد الميلاد:

- المسيحيون في الهند يحتفلون بعيد الميلاد مع قداس منتصف الليل مثل بقية العالم. ولكن مع عدم وجود أشجار السّرو أو الصنوبر للتزيين يتم وضع الزينة على أشجار الموز، أو المانجو بدلاً منها.
- يخلق السكان المحليون في كاتالونيا دميةً من القماش، ويرسمون عليها وجهاً ثم يقضون أسبوعين في حشوها بالفاكهة والمكسرات والحلويات، وفي عشيّة عيد الميلاد، يتجمّع جميع أفراد الأسرة حول الدمية ويقومون بضربها بالعصي مع غناء أغنية تقليدية تترجم إلى: "إذا لم تفلح جيّداً، فسأضربك بالعصا" حتى تفرغ الدمية كل ما فيها من أشياء.

- تقوم الأسر في فنلندا عادة بزيارة قبور أجدادهم وأقاربهم عشيّة عيد الميلاد ووضع الشموع على القبر. وحتى أولئك الذين ليس لديهم قبور أقاربهم يقومون بزيارة المقابر المجاورة ووضع الشموع تكريماً لأفراد أسرهم الذين دفنوا في مكان آخر، وبالتالي ستجد عشية عيد الميلاد جميع المقابر مضاءة بالشموع في فنلندا.
- يعتقد النرويجيون أن عشية عيد الميلاد تتزامن مع وصول الأرواح الشريرة والسّاحرات إلى البلاد لذلك تخفي الأسر النرويجية جميع مكانسها قبل النوم بسبب الأساطير القديمة التي تقول بأن الساحرات يسرقن المكانس، ويحوّلنها لمكانس طائرة، ويتنقلن بها.
- من الأمور التي ترتبط بعيد الميلاد في اليابان أيضاً كعكة العيد، حيث يتم تحضير الكعكة مع القشدة والشوكولا والفراولة على رأس الشهر. وتؤكل هذه الكعكة عشية عيد الميلاد. وأيّ كعكة لم يتم بيعها قبل 25 الشهر لا يتم أكلها أبداً، وللسبب ذاته يتم تسمية الفتيات اليابانات ممّن تجاوزن سن الـ 25 ولم يتزوّجن بعد (بكعكة عيد الميلاد).
- في إيطاليا تظهر ساحرةً قديمةً تسمّى لا بيفانا، وهي التي تقدّم هدايا للأطفال، حيث تقول الأسطورة إن الرّجال الحكماء الثلاثة، دعوا الساحرة لمرافقتهم لرؤية الطفل يسوع. وقالت إنها كانت مشغولة بإعطاء الهدايا للأطفال، وهكذا ولدت الأسطورة.
- بدلاً من تزيين الأشجار بالحلي والأجراس تغطّى أشجار عيد الميلاد في أوكرانيا بخيوط عناكب إصطناعية، فهو فلكلور قديم في اوكرانيا، حيث يقال إنه كان هناك إمرأة فقيرة لا تستطيع تزيين شجرة عيد الميلاد الخاص بأسرتها، فقامت بتزيين الشجرة بشبكة تشبه شبكة العنكبوت، وعندما إستيقظ أطفالها وجدوا الشجرة مغطاة بالشبكة وعند وصول أول شعاع من ضوء الشمس للشبكة تحوّلت إلى ذهب وفضة، وأصبحوا من أغنى الناس وقتها. لذا يعتقد أن رؤية العنكبوت في صباح يوم عيد الميلاد يجلب الحظ.
- في ألمانيا وفي مساء يوم 5 ديسمبر، يترك الأطفال الألمان حذاءهم خارج باب غرفة نومهم، وفي الصباح، إذا كانوا الأطفال مطيعين، فسوف يستيقظون ليعثروا على أحذيتهم مليئةً بالسكاكر والحلويات، وإذا لم يكونوا كذلك، فسيجدون فرع شجرة صغيرة فيها.

- في كل عيد ميلاد في غرينلاند، يقوم السكان المحليون بإعداد العشاء بوجبة الكيافيك، التي تتم عن طريق لف طائر صغير في القطب الشمالي في جلد حوتٍ صغيرٍ أو فقمة بشكل محكم الإغلاق، ويقومون بدفنها لعدة أشهر ويأكلون جسد الطائر المتحلل.
- في الأسبوع الذي يسبق عيد الميلاد، يحضر الفنزويليون إلى جلسات يومية في الكنيسة، تسمى Misa de Aguinaldo أي "قداس الصباح الباكر.
- في النمسا يوجد لدى بابا نويل نظيرٌ شريرٌ يدعى كرامبوس، وهو مخلوق لديه مهمة واحدة فقط، وهي معاقبة الأطفال المشاغبين قبل عشية عيد الميلاد، حيث يقوم رجالٌ بإرتداء ملابس الشيطان، ويجوبون الشوارع حاملين معهم سلاسلاً وسلّةً لإختطاف الأطفال المشاغبين، ونقلهم إلى الجحيم، في عرضٍ مرحٍ للكبار.
- في الصين، يلف الناس التفاح بأوراق ملوّنة ويوزّعونها على الأطفال الجيّدين، والفحم والثوم على غير المطيعين.
- في التّشيك ترمي العزباوات أحذيتهنّ بإتجاه الباب، فإن بقيت بإتجاه مستقيم فلن يكون هناك زفاف في العام المقبل، وإن كان معكوساً، فعليهنّ المباشرة في التحضير للزفاف.
- في غواتيمالا، تعتبر النظافة شيئاً أساسياً كالتقوى والإيمان، حيث يعتقد السكان المحليون أن زوايا المنزل المظلمة والقذرة، لذلك يقضون أسبوع ما قبل عيد الميلاد في التنظيف، حيث يجمعون القمامة ثم يكدّسون كل ما يودّون رميه مع القمامة، في كومة كبيرة خارج المنزل، و يقومون بوضع دمية تشبه الشيطان في أعلى الكومة وتشعل النار فيها. يطلق على هذه العادة إسم "La Quema del Diablo" أي ما يعني "حرق الشيطان".
- في إسبانيا، من المعتاد إرتداء ملابس داخلية حمراء جديدة عشيّة رأس السنة الجديدة، حيث إتّخذت بلدة (لا فونت دو لا فيغيرا) الصغيرة خطوة تقليدية أخرى، ففي عشية رأس السنة الجديدة يخرج العديد من العدّائين إلى الشوارع، وهم يرتدون ملابس داخلية حمراء فقط.

- في اليابان لا يتناولون الديك الرومي كما هو معتاد في الدول الغربية على عشاء ليلة عيد الميلاد. فبالنسبة لكثير من اليابانيين، عشاء عيد الميلاد التقليدي هو كنتاكي.
- في بريطانيا أيضاً كل فرد من أفراد الأسرة، ولا سيما الأطفال، يقومون بتحريك عقارب الساعة عندما يطلبون أمنيتهم في ليلة عيد الميلاد، و من التقاليد المميّزة في بريطانيا لعيد الميلاد أنه يتم وضع عملة معدنية ضمن الحلوى أثناء تصنيعها، والشخص الذي يجدها في حصّته سيحصل على الثروة، أو يتم وضع خاتم لجلب الحظ السعيد للزواج.

ختاماً:

إن عيد ميلاد السيد المسيح من أهم الأعياد في العالم، تحتفل به معظم دول العالم من المسيحيين وغير المسيحيين، حيث يتميّز بطقوس خاصة به، تجعل الناس يتشوقون إليه، وينتظرونه من عام لعام، بل ويعدّون له ميزانيّة للإنفاق على طقوسه، فهذا العيد رسالة المحبة والسّلام، ولذلك يتصالح المتخاصمون ليحقق هذا العيد رسالته السامية، فهو عيد الأخوّة والتسامح، وهي الرسالة نفسها التي حملها المسيح عند قدومه إلى هذه الأرض، إضافةً إلى ذلك يزور بعض المسيحيين دُور المسنين والأيتام ويقدمون لهم الهدايا بمناسبة عيد الميلاد، وبذلك تعمّ البهجة والسرور.